٨

تجليات اللون في شعر البهاء زهير ٥٨١_٦٥٦هـ

The Manifestations of Color in the Poetry of Bahaa Zuhair

م.م. رندة صالح كامل

Randa Saleh Kamal

الجامعة التقنية الوسطى/ معهد الفنون التطبيقية

Central Technical University / Institute of Applied Arts

الملخص:

كان التراث القديم مصدراً ثراً لتوظيف الألوان وقد أخذ الشعراء ينهلون منه ليثبتوا لنا أصالة انتمائهم إلى ثقافتهم الشعرية الأولى ذات القداسة والتميز، إلاّ أن تقليدهم لهذا التراث لم يأت تقليداً أعمى بل جاءت تصويراتهم اللونية في قوالب وأطر جديدة تلائم نفسيتهم المتأزمة والعصر الذي وحدّهم ولاسيما قد عرفنا أن اللون يملك طبيعة متغيرة ومتحولة مع انتقالات العصور، ويرصدُ هذا البحث تجليات اللون في شعر البهاء زهير, إذ يُشكِّلُ اللون عنصرًا مهمًا من عناصر تشكيل الصورة الشعرية, فضلًا عن إنَّ اللون يحمل دلالات جمالية ورمزية عديدة تعبر عن موضوعات الحياة المُختلفة, وقد تمَّ رصد نماذج شعرية من الديوان التي تكشف لنا رؤية الشاعر ومحاولة معرف أكثر الألوان توظيفًا في نِتاجهِ الشِّعري.

الكلمات المفتاحية: اللون، الشعر العباسي، الصورة الشعرية.

Abstract

The ancient heritage was a rich source for employing colors, and poets began to draw from it to prove to us the authenticity of their belonging to their first poetic culture of holiness and distinction. However, their imitation of this heritage was not a blind imitation, but rather their color representations came in new templates and frameworks that fit their crisis psyche and the era that united them, especially as we have known them. Color has a changing and shifting nature with the transitions of the ages, and this research monitors the manifestations of color in the poetry of Al-Baha Zuhair, as color constitutes an important element of the formation of the poetic image, in addition to the fact that color carries many aesthetic and symbolic connotations that express the various themes of life, and examples have been observed A poem from the collection that reveals to us the poet's vision and his attempt to identify the most common colors used in his poetic production.

Keywords: color, Abbasid poetry, poetic image.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

وبعد.

فيمثل اللون أحد مكوّنات الإطار الطبيعي لحياتنا وعند الشعراء بصورة خاصة لكونه يرتبط بالتصوير الفني شعوراً وفكراً، إذ حملوا مشاعل الإبداع والابتكار بنفوسٍ قد انصهرت مع المجتمع، لتخرج لنا في نهاية الأمر صوراً مشحونة بالألوان المعبّرة عن مشاعر جاشت بها نفوسهم يطفو عليها الفرح والسعادة تارة والحزن تارة أخرى، وتحديداً في العصر العباسي لما تميز به عن غيره من تطورات ثقافية واجتماعية انعكست مؤثراتها في أدب ذلك العصر عبقرية وإبداعاً، فعظمت رهبتي ومع الرهبة رغبة في الموضوع وحماس له، وهكذا تحددت البداية بقراءة ديوان الشاعر البهاء زهير لكي ألتقط من هذا الديوان أبياتاً توجد فيها ظاهرة اللون، فكان ثقل بحثي منصباً على شعره بما يحمله من تأويلات فكرية ونفسية، كان المعين الأساس في كشف ما كان يعبر عنه في تلك الأشعار، وقد قامت هذه الدراسة على انتقاء النصوص الشعرية التي تمَّ توظيف اللون فيها، ومن ثمَّ تحليل النصوص تحليلًا يكشف الدلالات المتعددة التي أَثَّرَت في النص الشعري، وأَغنت قيمته الفنية –الجمالية– التي تستثير الايحاءات النفسية لدى المُتلقي، وقد أَخذت هذه الدراسة على مبحثين يسبقهما تمهيد خصصته لحياة الشاعر، جاء المبحث الأول مخصصاً لأهمية اللون ودلالته التوظيفية، وإعطاء إضاءة عن اللون في التجربة الشعرية لدى الشاعر، وخصصت المبحث الثاني: لمظاهر اللون المباشر (الصريح) وسنوضح في هذا المحور الحضور الواضح لألفاظ اللون المباشر عنده وبيان كيفية توظيف هذه الألَّون بما يتناسب ونفسيته، أم المبحث الثالث فخصصته لدراسة مظاهر اللون غير المباشر (الضمني)، سنحاول في هذا المحور أن نُبيِّنَ الدلالة اللونية غير المباشرة بلفظها الصريح عبر توظيف الشاعر للون بطريقه غير مباشرة؛ لدعمِ أَغراضه الشعرية وإثبات قدرته في توظيف الجانب الايحائي والرمزي، ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد: الشاعر البهاء زهير

هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر, الملقب بهاء الدين الكاتب، ولد البهاء زهير في الحجاز سنه (٥٨١هـ) في وادي نخلة بالقرب من مكة, وقد نزحت أُسرته إلى مصر وهو صغير, ولم يُكمِل تعليمه, حتى استقر مع أُسرته في مدينه قوص وهناك تلقى تعليمه وأَتمَّهُ, وقد كان يتمتع بصفات كثيرة كالمروءة والكرم والأَخلاق, فقد أتاح له ذلك الاختلاط بالكثير من الملوك والأُمراء, وقد أنتج له هذا الاختلاط بالملوك الاستمتاع بالقصور والبساتين والمراح بجانب الجواري, وقد كان يُعدُّ من أَفضل شعراء عصره من حيث نظم الشعر والفصاحة[١], وقد صرح ابن خلكان أَنه من أحسن الفضلاء في عصره نظمًا, ونثرًا, وخطًّا[٢], يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي في معرض حديثه عن مكانته الشعرية: "إِنَّ شعره مرآة تجلت فيها صفاته واضحة جلية"[٣], أَما موضوعاته الشعرية فقد جاء معظمها في الغزل، يليه المديح، ثم الهجاء، والرثاء، وأَغراض أُخرى؛ لكن كان النظم فيها قليل بالمقارنة مع غيرها من الاغراض كوصف الخمر, والتوبة, والرسائل[٤], وقد توفي البهاء زهير في مصر, أثر مرضٌ عظيم سنه (٦٥٦هـ)[٥].

المبحث الأول: اللون في الشعر

حظيَ اللون بأهمية كبيرة لدى الحضارات الإنسانية كافة؛ كونه يُشكل جزءًا من ديمومة الطبيعة والحياة, فهو –اللون– عنصر موازي لوجود الطبيعة, وبما أَنَّ وجود الإنسان مرتبطٌ بوجود الطبيعة, فكل ما يحيط به من وجود لا يخلو من الجانب اللوني؛ لأَهميته الفاعلة في حياة الإنسان عامة, بوصفه من الأشياء التي تُدرك بصريًا, فضلًا عن الجانب الايحائي الذي تكتنزه الالوان، والدلالات التي اقترنت بها حسب ما تُوحي به في سياق التعبير الشعري؛ ولذلك عُدَّ اللون "عنصرًا فاعلًا في مسيرة الحضارة الإنسانية, فقد أُستعمل استعمالات شتى, ووظف في اتجاهات متباينة تبعًا لكل حضارة؛ ولكن ثمة شيء مشترك بين الحضارات في إنها عدت اللون ركنا أساسيًا من أركانها"[٦], ونلحظ ذلك في التجارب الإبداعية التي تُعبر عن تلك الحضارات التي عبرت عن ثقافاتها بفنون مُختلفة، ولا سيما التجربة الشعرية، إِذ يُعد اللون من العناصر الفنية الجمالية, فله حضور بارز في تشكيل الصورة اللونية؛ كون الشعر تصوير الواقع بصورٍ مُتخيلة، وكونه أيضًا يصف ما يختلج في نفس الشاعر من انفعالات نفسية ايجابية أو سلبية, فينتج بوساطة هذه الانفعالات نسيجًا شعريًا مختلطًا يُعبِّرُ عن خيال الشاعر وحالته النفسية وعاطفته ورؤية الأَشياء

من حوله، وإن هذه الانفعالات تُفصحُ عن قدرة الشاعر التصويرية؛ كون الشعر كما وصفه الجاحظ: "صناعة, وضرب من النسج, وجنس من التصوير"[٧], فأخذ الشعراء يوظفوا اللون؛ ليبرزوا الفضائل في الأَغراض الشعرية التي تستوجب الاشادة بمحامد المُخاطب كـ(المدح، والفخر، والرثاء)، فضلًا عن إبراز محاسن المرأة والتغني بمفاتنها في غرض الغزل, حتى غدا "اللون لغة خاصة تثير اهتمام الشعراء... لإخراج قصائدهم لوحات فنية تعتبر وسيلة مهمة في تصوير التجربة في عالم الشعر وتصبح القصائد عملًا إبداعيا"[٨], حتَّى أن الشعراء استطاعوا ان يوظفوا دلالات مختلفة للألوان في شعرهم بما يتناسب وانفعالهم وأغراضهم, فاللون يُسهم في استحضار طاقة الشاعر الإيحائية والتصويرية, فهو جزء لا يتجزأ من خيال الشاعر, فالشاعر يستثمر مخزونه اللوني؛ ليعبر عما يُخالج نفسه, ويعكس عن طريقه حالته النفسية والعاطفية تجاه الآخر, فتوظيف اللون لهُ صِلة بالمرجعيات الشاعر الثقافية؛ لأَنَّ اللون جزء من محيطه, وبما أَنَّ الشعر مرأة المجتمع "فنحن نوظف اللون احيانًا؛ لتعبير عن أَحكام سايكلوجيه صارمة تجاه الذات أَو الاخرين, فذلك أَحلامه وردية والاخر أَفكاره سوداء, ورؤيته سوداء"[٩], إذ إنّ اللون يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسان (الشاعر) بوصفه جزء مهم من هذا المجتمع, واصفًا ومعبرًا عن نفسه وعن الاخرين فـ"للون قدرة عجيبة في الكشف عن شخصية الإنسان؛ لأَنَّ كل لون من الألون يتعلق بمفهومات معينة ويمتلك دلالات خاصة, فعن طريق الكلمة تصاغ الدلالة اللونية, فألفاظ اللون الزاهية تشرح الصدر وألفاظ الالوان الداكنة القاتمة تؤدي الى الحزن"[١٠], ومن هنا ندرك بصورة واضحة, إنّ توظيف اللون في الشعر ليس مجرد توظيف لإبراز غاية جمالية فقط, فمن الممكن أن يخطر ببال غير المطلع على الدلالات اللونية في الدراسات الأَدبية والشعرية, أَن اللون ظاهرة سطحية لا يمثل معنى عميق او معين[١١], فهو يخلق أَو يكاد يخلق قيمة فنية ودلالية, إذ يخلق لغة خاصة في النصوص الشعرية لما له من أَثر كبير في إبراز الدلالات[١٢], فضلًا عن ذلك فأننا لو رجعنا إلى دواوين الشعراء على اختلاف العصور, سوف نلاحظ اهتمامهم بظاهر اللون[١٣], فلم يكن توظيف اللون اعتباطا عند الشعراء؛ بل كان يملك مدلول نفسي أَو جمالي؛ ليعبر بطريقة رمزية عن قضية معينة "إذ يحتل اللون في الصورة التعبيرية مساحة أساسية غير شكلية, ذلك أن اللون ودلالاته قد ارتبط بمعان ورموز عند العربي واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية عن طريق العادات, فجاءت الألوان مرة على الحقيقة، وأُخرى على سبيل المجاز، وأحيانا شعار لشيء معين"[١٤]؛ وذلك لأَنَّ اللون ودلالاته النفسية والعاطفية أصبح جزء لا يتجزأ من ديمومة التصوير الشعري والخطاب الشعري؛ لأَنَّهُ

عنصر مهمًا وفعالًا يسهم في إبراز جمالية الصورة الشعرية, إذ أصبحت المعطيات اللونية واستخدامها "وشمًا في جسد القصيدة "[١٥]؛ لِمَا يملكه اللون من أهمية بارزة في إثراء دلالة الخطاب الشعري، وإبراز عاطفة الشاعر عبر التصوير اللوني.

يُعد الشاعر البهاء زهير من الشعراء الذين عنّوا عناية خاصة بتوظيفهم عنصر اللون, وتبين لنا ذلك عبر القراءة المتأنية لديوان الشاعر , نلحظ ذلك بصورة جلية توظيف اللون صراحةً وعلى سبيل المجاز , إذ إن وجود الألوان في التوظيف الشعري غير مرتبط بشرط وضوحها اللفظي –ذكر اسم اللون صراحة–, فالشاعر يُخضعها لطبيعة اللغة والخطاب الشعري المجازي أَحيانا([١٦]), ويذكرها بلفظها الصريح لِمَا يحمله اللون من دلالة تتناسب والقضية التي يطرحها في خطابه الشعري أَحيانًا أُخرى, وهو بهذا لم يخرج عمن سبقه من الذين وظفوا اللون للتعبير عمَّا يختلج في نُفوسهم وما يعتريها من ألم وفرح , إذ جعل اللون يُطاع ويتجلى على وفق حالتهِ النفسية وما يعترياها من مشاعر تجاه الاشخاص أو الأَمكنة أو الأزمنة، ومن هذا المُنطلق يتمُّ التصوير الشعري عبر هذه الالية اللونية, التي تمثل "الوسيلة التي تعبر عن القيم الشكلية, والمعاني النفسية, والنواحي الجمالية"[١٧], وما يهمنا في هذه الدراسة هُوَ رصد تجليات اللون في شعره , بوصفه توظيف واضحة الحضور في شعر الشعراء عامة، وشعر البهاء زهير بشكلٍ خاص.

المبحث الثاني: اللون المباشر (الصريح)

يُعدُّ عنصر اللون من أهم أوليات الحياة, بصفته يبث طاقة جمالية لكل ما حولنا , فالالون تستحضر الكثير من الجوانب الحياتية, فهو يحمل دلالات مختلفة منها ما هو نفسي وفني واجتماعي وايحائي رمزي[١٨]؛ لذلك يعمدُ الشاعر(البهاء زهير) إلى توظيف المعجم اللوني بطريقة مباشرة؛ ليخلق جوًا من التناسق النفسي والخيالي الإبداعي للنص الشعري, والمُراد باللون المباشر , هو توظيف اللون والواضح والصريح لفظًا ومعنى, أي اللون المذكور بلفظه وما يشتق منه بصرف النظر عن الدلالة النفسية للون, كـ(الابيض, الأَسود, الاحمر , الاخضر ..الخ), وقد عبر الشاعر (البهاء زهير) عن اللون المباشر بألفاظ صريحه ومشتقة, فكان حضور اللونين الصريحيّن (الأَسود والأَبيض) متقارب بخلاف اللونين (الأَحمر والأخضر), ولعل ذلك يعود إلى ما يحمله هذين اللويين من دلالات عميقة, إذ يُعدُّ "اللون الأَبيض من الألوان البارزة في الشعر العربي, فهو لون الطهارة والنقاء الثقة والتواضع والرقة والسلام والضعف والعجز أَيضًا, وقد يكون أَيضًا رمزًا للكأبة

والحزن كونه من الألوان الباردة"[١٩], أما اللون الأَسود فهو "من الألوان المهمة في الشعر العربي؛ لما يحتويه من دلالات ومعاني والأَسود أغمق الالوان في الحقيقة وهو سلب الأَبيض ونقيضه"[٢٠], ويرى الكثير من العلماء أَنَّ اللونين الأَسود والأَبيض, هما أول لونين وضعت لهما ألفاظ لونية في معظم لغات العالم[٢١], فنراه يوظف اللون الأَبيض صراحة في مدح ناصر الدين فيقول:[٢٢]

أياديـــه بـــيضٌ فـــي الـــورى موســـويةٌ ولكنهـــا تســـعى علـــى قـــدم الخضـــر
ومـــن أجلـــه أضـــحى المقصَّـــم شـــامخاً ينـــافس حتـــى طـــور ســـيناء فـــي القـــدر

يُظهر هذا النص كرم الممدوح، وقد وظَّف الشاعر اللون الصريح الأَبيض, في صورة لونية بيَّنها عبر قوله: (أياديه بيضاء) وقد اتكأ بذلك على قصة النبي موسى(عليه السلام)، التي أَوردها القرآن الكريم في قوله تعالى: **(وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى)**{طه/٢٢}، وقد أَضفى نسق القداسة على يد الممدوح التي اتصفت بالكرم، وقد اكمل الصورة المدحية عبر الشطر الثاني الذي عضَّدَ الدلالة اللونية، إذ ذكر مسيرة الخضر (عليه السلام) مشيرًا إلى مسيرته لفعل الخير, فحضور الأَبيض في النص يتناسب وذكر النبي موسى والخضر عليهما السلام لما يمثله هذا اللون من " الطهارة والنقاء والصدق وهو يمثل "نعم" في مقابل "لا" الموجودة في الأَسود , وإنه الصفحة البيضاء التي ستكتب عليها القصة , إنه أحد الطرفين المتقابلين , إنه يمثل في مقابل النهاية والألف مقابل الياء"[٢٣] , فستحضر الشاعر الدلالة الحقيقية للون المباشر(الأَبيض) .

ونجدهُ يوظف اللون الأَبيض في نص أَخر يتغزل فيه ببياض الحبيبة، وقد عاضد بهذا التوظيف وصف المشيب الذي يحمل الدلالة غير المباشرة:[٢٤]

وهيفـــاء بيضـــاء الترائـــب أبصـــرت مشـــيبي فأبـــدت لوعـــة وتعجبـــا

ونراه يقول في نص آخر:[٢٥]

لله ليلـــــة بتنـــــا والرقيـــــب بهـــــا نـــــاء فـــــلا عينـــــه نخشـــــى ولا اثـــــره
غـــراء مـــا أســـود منهـــا ان جعلـــت لهـــا عيبـــاً ســـوى مقلـــةٍ كحـــلاء أو شـــعره

يفتتح الشاعر نصه الشعري متعجبًا (لله ليلة)؛ ليشد انتباه المتلقي, فيسلط الضوء على أهمية تلك الليلة, فيوظف اللون الصريح (**الاسود**)؛ لوصف الليلة التي جمعته بحبيبته، وقد عاضد الدلالة المباشرة بدلالة غير مباشرة (غراء) التي تدل على الاشراق والنقاء, فهو يُعاضد الدلالتين؛ لتكوين صورة وصفية غزلية تدل على جمال حبيبته, فالشاعر لا يرى عيبًا فيمن يتغزل بها؛ لبياضها الناصع، وجمالها المتناسق، واذا ما أَردنا ان نجعل لها نُوجد لها عيبًا, فهو كحلة عينيها بلونهِ (الأَسود) وقد زاد من إِشراقها, وبالرغم من حضور هذا التضاد اللوني، غير أَنَّهُ أَظهر صورة لونية أَبرزت جمال المرأة التي تغزل بها, فسواد الكحل في عيونها الذي خالط بياض بشرتها زاد من إِشراقها.

ومن النصوص التي وظَّف الشاعر فيها دلالة اللون الاسود صراحه، قوله في مدح الناصر صلاح الدين:[٢٦]

وأســـمر أمـــا قـــده فهـــو أهيـــف رشـــيق وأمـــا وجهـــه فهـــو اصـــبحُ
كـــأن الـــذي فيـــه مـــن الحســـن والضّـــيا يداخلـــه زهـــو فيـــه فهـــو يمـــرحُ

نلحظ حضور اللون الأَسود صراحة في هذا النص الشعري، وذلك عبر درجة من درجاته، وهو (أسمر) والسمار درجة ما بين البياض والسواد, فنقول: (فتى أسمر), من باب مدحه وإِبراز وسامته, فتحضر الدلالة الإِيجابية للون, ينتقل بعد ذلك لإِكمال وصف وسامة الممدوح؛ ليخلق نوع من التوازن بين صفاته الجمالية, (أَما قده فهو أهيف) دلالة على انه متناسق الجسم، (اما وجهه فهو أصبح), فنراه يصف إِشراقة وجهه ومدى نضارتها؛ ليكمل هذه الصورة اللونية المشرقة, ثم يشبهه بالحسن والضياء، إِضافة الى روحه المفعمة بالسعادة والمرح, وفي ذلك إِشارة إِلى أَنَّ الجمال والسعادة تتجلى في وجه ممدوحهِ.

والى جانب الاسود والابيض وظف الشاعر اللونين الاحمر والاخضر الصريحيّن, وهما من الالوان المهمة أَيضًا فاللون الأَحمر من الالون التي تمتلك دلالة مهمة, ويرى علماء النفس أَنَّ اللون الأحمر يثير روح الهجوم والغزو والثأر, ويخلق نوعًا من التوتر العضلي, كما أنه مثير للمخ, وله خواصه العدوانية, ويرتبط بالنشاط الجنسي والرغبات البدائية, وهو يبعث على البهجة والانشراح؛

كونه من الألوان الساخنة[٢٧], وكذلك اللون الأَخضر من أَكثر الأَلوان استقرارا في النفس، ولأَنَّ الأَخضر هو لون الخلود, ولون الجنة والنعيم فقد أَصبح اللون المفضل لدى الكاثوليك, واستعملوه في عيد الفصح رمزا للبعث[٢٨]، وقد وظَّف البهاء زهير اللون الأَخضر في مدحِهِ صلاح الدين، جاء في قوله:[٢٩]

الـى الملـك المسـعود ذي البـأس والنـدى فأســـيافه حمـــر وســـاحاته خضـــر

يـــرق ويقســـو للعفـــاة وللعـــدا فلله منـــه ذلـــك العـــرف والنكـــر

يُوظف الشاعر الدلالة اللونية المباشرة في هذا المديح، وقد عبَّرَ بواساطتهِ عن قوة الممدوح وكرمه، وقد جاء توظيف اللونين الصريحين (الاحمر والاخضر)؛ لبيان شجاعة الممدوح وسخائهِ، فجاء توظيف اللون الأَحمر صراحة؛ لوصف السيوف التي اصطبغت بحمرة الدماء، فهو –اللون الأَحمر– لون يرمز للعنف "ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم"[٣٠], فاللون الاحمر الذي اقترن ببأَس الممدوح "لون هجومي يرمز الى القوة والقدرة والصمود"[٣١], وهو أَيضًا "من الأَلوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة"[٣٢] وقد اقترن توظيف اللون الأَخضر بوصف كرم الممدوح، إذ جاء هذا التوظيف في السياق المُقترن بمصدر العطاء (الندى), وهذا يتناسب والدلالة الإيحائية التي تُستشف من اللون الأَخضر, فغالبًا ما يكون هذا التوظيف يرمز إلى الحياة والتجدد والانبعاث الروحي[٣٣], إضافة إلى كونه من الأَلوان التي تملك دلالة مستقرة، وفية إشارة إلى جوانب روحية مقدسة؛ لأَنَّه لون الطبيعة التي أَبدع في خلقها الله(ﷻ), والأَخضر من الألوان المريحة للنظر, فهو يرمز للحقول والغابات والحدائق[٣٤], فالشاعر يحرصُ على إبراز خصال الممدوح عبر توظيف الدلالة اللونية, وقد أَسهم التضاد بين لفظتي (يرق ويقسو) في تعميق الدلالة التي تُظهر الممدوح في الصورة المثالية, فهو يرق ويتواضع لرعاياه, ويقسو على الأَعداء الذين يُشكلوا تهديدًا على مملكتهِ, فهو يمتلك صفتين مختلفتين، العرف الذي يُظهر الجانب الرقيق من صفاتهِ، والنكر الذي يشير الى القسوة في التعامل مع الاعداء.

ونجده يُوظف اللون الأَحمر صراحه في هذين البيتين، بدلالة لفظه (حمره) التي تدل على الحياء والخجل، يقول فيهما:[٣٥]

وبـــدت فـــي الخـــد منـــه حمـــرة ولعمـــري كـــوت الاكبـــاد كـــي
أنـــا مـــن قـــد مـــن فـــي العشـــق بـــه هنئـــوني ميـــت العشـــاق حـــي

ويوظف هذا اللون في السياق ذاتهُ الذي يدل على الحياء والخجل في قوله:(٣٦)

فـــانثنى يحمـــرّ منـــي خجـــلاً وثنـــاه التيـــه عنـــي لا إلـــى
كـــدت بـــين النـــاس ان الثمـــه آه لـــو أفعـــلُ مـــا كـــان علـــى

ويوظف اللون الاخضر توظيفًا صريحًا, في هذين البيتين الذين يصف بستان:(٣٧)

لله بســـــــتاني ومـــــــا قضـــــيت فيـــــه مـــــن المـــــأرب
لهفـــــي علـــــى زمنـــــي بـــــه والعـــــيش مخضـــــر الجوانـــــب

نلحظ تصدر النص بصيغة تعجبية في قوله: (لله بستاني)؛ ليُظهر مدى حُبِّهِ لهذا المكان الذي قضى فيه من أوقاتًا سعيدة, مُستعينًا بإمكانيته اللغوية التي ترفده بالقدرة التصورية واستثمار الدلالات اللونية, فتوظيفه لفظه (لهفي) التي تتركز فيها معاني الشوق والحنين والاشتياق الشديد، إلى جانب توظيفه اللون المباشر الصريح (والعيش مخضر الجوانب) الذي يحمل دلالته الواضحة على الازدهار وديمومة الحياة, فعندما يصف عيشه بأنه مخضر الجوانب، فكأن حياته كلها قد اكتسبت بالنَّماء، وجاءت توظيف هذا اللون في السياق التعبيري الذي يحمل معه دلالة الحياة والسكينة والحب والعاطفة, فالشاعر يوظف اللون صراحة في وصف الوصال مسندًا اللون الصريح الاخضر (مخضر) الى اللون غير المباشر (بستاني).

وفي هذا الإطار من توظيفه اللون المباشر صراحة، نلحظ توظيف التضاد اللوني الصريح المباشر, وهو لا يبتعد عن القدامى في توظيف الآليات، أَو الأَساليب التي تُعضِّدُ الأَغراض التي تُعبِّرُ عن انفعالات الشاعر النفسية, فنجدهُ يعتمد التضاد اللوني, كنوع من أَنواع الثنائيات او المتضادات, فذكر الشيء يقتضي ما هو ضده, ومن الأَبيات التي جاء فيها هذا التوظيف، قول أحد الشعراء:(٣٨)

ضـــــدان لمـــــا اســـــتجمعا حســـــنا والضـــــد يظهـــــر حســـــنه الضـــــد

وتوظيف اللون المباشر بصورة تضادية عبر توظيف لونين مختلفين؛ لتعضيد دلالة نفسية وهذا كله لأَنَّ الشعر ليس مجرد انعكاس عمَّا يعتمل في قلب الشاعر؛ بل هي "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو استنساخه، إنَّما تعني إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة والمتباعدة"[٣٩], وقد ورد التضاد اللوني عنده بين (الأَسود والأَبيض), ومن ذلك قوله في توظيف التضاد اللوني المباشر (بين السمر والبيض) يقول:[٤٠]

لا تلـــــــح بالســـــــمر المـــــــلا ح فهـــــــم الـــــــدنيا نصـــــــيبي
والبـــــــيض أنفـــــــر عـــــــنهم لا أشـــــــتهي لـــــــون المشـــــــيب

نلحظ في هذا النص الحضور الواضح للثنائية الضدية اللونية ذات الدلالات المباشرة

(الصريحة) : السمر (الدلالة السوداء) ⟵ يقابلها بيض (المشيب)

إذ نرى الشاعر يتمم التضاد الصريح عبر تعضيده بدلالة غير مباشرة أيضًا, فهو يتغزل بالنساء السمر, ويتمنى أَن يكنَّ نصيبه من الدنيا, وكأَنَّهُ لا يرى في الدنيا غيرهن، وفي المقابل نجده يذم بصورة تضادية النساء البيض معضدًا دلالته بلفظة (الشيب) الذي يدل على الهرم والمرض والتعب واقتراب الأَجل؛ ليخلق جوًا من النفور تجاه النساء البيض, وذلك كله نابع من هاجس نفسي داخله "فجوهر اللون إذن يتأسس من خلال خبرة نفسية"[٤١], إذ إنَّ النصوص الشعرية دائمًا ما تُعبِّرُ عن نفسية الشاعر، فنراه في موضع آخر يخالف هذا الحب للسمر, فيقول:[٤٢]

ألا ان عنـــدي عاشـــق الســـمر غـــالطٌ وان المـــلاح البـــيض أبهـــى أبهـــج
وانـــي لأهـــوى كـــل بيضـــاء غـــادة يضـــيء بهـــا وجـــه وثغـــر مفلـــج
وحســـبي انـــي اتبـــع الحـــق فـــي الهـــوى ولاشـــك ان الحـــق ابـــيض أبلـــج

نلحظ في هذا البيت كيف ان الشاعر تغيرت وجهته نحو النساء البيض والسمر, إذ إنَّ موقفه في هذا النص مغايرٌ لما كان في النص السابق, وكذلك نلحظ كيف وظَّفَ الدلالات غير الصريحة للون التي تدعم وترجح النساء البيض على السمر، وبذلك احتشد هذا النص بالصيغ التعبيرية التي تُظهر تفضيله النساء البيض على غيرهن: (ابهى, ابهج, يضيء, الحق أَبلج), فهذا النص يتعارض مع النص السابق, فهو يُعلي من شأن النساء البيض، وقد عمد إلى اقران الحق باللون الأَبيض بذلك أَفصح عن رغبته بهذا الصنف من النساء، ونجده في نص آخر, يرجح النساء البيض على السمر، وعمد إلى إقران الحق باللون الأَبيض أَيضًا, فنلاحظ التلاعب في النصين السابقين عبر الآتي:

ابيض ≈ مشيب ≈ نفور

ابيض ≈حق≈ رغبة

ومن أَمثلة ذلك ما جاء في قولهِ:(٤٣)

يـــا مغرمـــاً بالســـمر مـــا أنـــا فـــيهم لـــك متبـــع
لكـــن علـــى حســـب الحســـان البـــيض قلبـــي قـــد طبـــع
الحـــق أبـــيض أبلـــج والحـــق أولـــى مـــا اتبـــع

ونجده في موضع آخر يقابل البياض بالسواد، وقوله:(٤٤)

جنـت لـي هـذا الشـيب ثـم تجنبـت فـوا حربـا ممـن جنـا و تجنبـا
تناسـب خـدي فـي البيـاض وخـدها ولـو دام مسـودا لقـد كـان أنسـبا

يذم الشاعر مرحلة الكبر التي تكون مصحوبةً بتغيُّرِ لون الشعر (الشيب)، وقد وظَّفَ التضاد اللوني (بياض، مسودا)؛ ليخلق تضادًا لونيًا, فأَظهر هذا التضاد مدى الحزن الذي خيَّم على الشاعر بسبب تقدمه في السن, فجاء توظيف الشيب؛ ليقدم عبر هذا التوظيف صورة غزلية تستند إلى التضاد واضح الدلالة, ففي النص نلحظ تناسب خده الذي يشتمل على لحيته البيضاء التي تدل على الشيخوخة، وبياض خد حبيبته المُفعمة بالحيوية والشباب، وفي هذه المُفارقة نستشف

مدى المرارة التي يُكابدها الشاعر ازاء هذه المرحلة العمرية التي جعلته يفقد القدرة على مُجاراة الحياة, ثم يعود في البيت الثاني ليوظف اللون المضاد متمنيا لو لم يُطاوع الزمن الذي أَوصله إِلى هذا المآل.

المبحث الثالث: اللون غير المباشر (الضمني)

وظَّفَ الشاعر البهاء زهير الدلالات غير المباشرة (الضمني) بصورة كبيرة مقارنة مع اللون المباشر, وذلك نابع من قدرة الشاعر على توظيف الدلالات العميقة؛ ليتناسب ذلك وحالته العاطفية, فهو يملك القدرة على تضمين الدلالات بما يتناسب وموضوع القصيدة, فهو كسائر الشعراء القدامى، فقد كان شعره "مقروناً بأبعاد دلالية, توحي بموهبة شعرية ذات زخم قوي ومؤثر"[٤٥], ولقد حفل ديوان البهاء زهير, باللون غير المباشر عبر توظيف الالفاظ التي تمتلك "طاقة ايحائية تسهم بشكل كبير في رسم ملامح الجمال في النصوص المختلفة"[٤٦], ومن توظيفه اللون الأَسود الضمني، هُو توظيف لفظة "الليل"، فتكون دلالتها بما يتناسب وحالته النفسية, فيكون الليل ذا دلالة إِيجابية "مشرقه" إِذ يرمز للوصال، أو الذكريات الجميلة, ومن ذلك قوله في ليلة وصل:[٤٧]

ونـــــــديم بـــــــت منـــــــه ... نـــــــاعم البـــــــال رضـــــــيا
جـــــــاءني يحمـــــــل كأســـــــاً ... قـــــــارن البـــــــدر الثريـــــــا
....
....
لنـــــــا طلـــــــق المحيـــــــا ... هكـــــــذا حتـــــــى بـــــــدا الصـــــــبح
مثلهـــــــا لا يتهيـــــــأ ... يـــــــا لهـــــــا ليلـــــــة وصـــــــل

يرسم الشاعر صورة لونية بيضاء، وقد جاء التعبير بصورة غير مباشرة عبر توظيفه لفظه (البدر, الكأس, الصبح)، مُتغزلًا بنديمه الذي اقترن شكله بصورة البدر من شدة بياضه وجماله, وهذا ما يبعثه اللون الأَبيض والدلالة البيضاء, فتوظيف الشاعر هذه الدلالة نابع من الأَثر الذي يتركه هذا اللون في النفس, فاللون الأَبيض يهيأ جوًا من الطهر المثالي الذي يبلغه الإِنسان في رجسه ودنسه ففي البياض هداة وسكينه[٤٨]، ثم يكمل الشاعر الصورة اللونية مُوظفًا لفظة (الليل) الذي كانت ليلة

وصل, وهذه الدلالة السوداء تتحول الى دلالة بيضاء من خلال قوله (يا لها من ليلة وصل مثلها لا يتهيأ), فوصف الليلة بالوصل، وإنَّها لا يتهيأ مثلها ليلة؛ بسبب الأَجواء التي تُرافقها بحسب الحالة الشعورية التي عناها الشاعر, فدلالة اللون تتعاضد فيما بينها؛ لتخلق صورة مضيئة في الفاظ ذات دلالات لونية[٤٩], إذ إنَّ "هذا الليل الذي يحبه الشاعر كان رمزًا للذكرى السعيدة, فكأنَّ الشاعر لا يعيش تلك الذكرى إلا من خلال الليل, فألقى الشاعر بذلك الليل إضاءات لونية متألقة بانفعال السعادة والسرور"[٥٠].

ومن الدلالات غير المباشرة توظيف الدلالة اللونية (البيضاء) الضمنية، قوله في ووصف النسيم الذي حمل دلالة الصفاء والنقاء، جاء فيه:[٥١]

هـــــب النســـــيم علـــــيلا وهـــــو النســـــيم الصـــــحيح
وطـــــاب وقتـــــك فـــــانهض فـــــالان طـــــاب الصـــــبوح
وخـــــذ مـــــن الكـــــأس نـــــورا يضـــــيء منـــــه الفســـــيح
مـــــن قهـــــوة طـــــاب منهـــــا طعـــــمٌ ولـــــونٌ وريـــــحٌ

احتشد هذا النص بالألفاظ اللغوية التي تشير إلى اللون بطريقة غير مباشرة كـ(وقت الصبوح, نورًا يضيء), ونلحظ ذلك التوظيف أَيضًا في أَبياته التي مدح فيها الأمير المكرم مجد الدين، يقول فيها:[٥٢]

نضـــــا مـــــن الاجفـــــان ســـــيفا قـــــل مـــــا يبقـــــى جريحـــــه
نشـــــوان مـــــن خمـــــر الـــــدلائل غبوقـــــه بهـــــا وصـــــبوحه

إذ نلحظ توظيف اللونين غير المباشرين الأَسود والأبيض في هذين البيتين، وتمثَّل ذلك في لفظة "غبوقه: الغبوق: الشرب مساءً"، صبوحة: الشرب صباحاً".

ومن الأَبيات التي وصف فيها ليلة الوصل قوله:[٥٣]

رعـــى الله ليلـــة وصـــل خلـــت ... مـــا خـــالط الصـــفو فيهـــا كـــدر
اتـــت بغتـــه ومضـــت مســـرعة ... مـــا قصـــرت مـــن ذلـــك القصـــر
فكانـــت كمـــا نشـــتهي ليلـــة ... طـــال الحـــديث وطـــاب الســـمر

يوظف الشاعر لفظة **(ليلة)**، وقد سعى بوساطتها إلى رسم صور الوصل والحب؛ لتحضر وبقوة الدلالة البيضاء بدلالة قوله **(ما خالط الصفو فيها كدر)**, فالصفو يحمل دلالة الصفاء والنقاء والعطاء العاطفي، والوصال الذي يخالطه كدر الفراق, وقد جاءت الليلة في سياقة جملة طلبية (الدعاء)، في قوله: **(رعى الله ليلة)** وهو اسلوب اعتمده اغلب الشعراء، وهذا يدل على أَنَّ الشاعر تأثر كثيرًا بالشعر القديم, فهو كسائر الشعراء كان مطلعا على الموروث القديم, وكان ملما بالأساليب التي نجها القدامى بالدعاء[٥٤], فهذه الليلة تعني له الكثير, فنراه يصفها بالسرعة في مرورها، وهذا منطلق من حياتنا اليومية, فالأوقات الجميلة والسعيدة تمر بسرعة, وقد عمد إلى إبراز حالته النفسية الإيجابية التي دعته إلى تحويل هذه الدلالة من السواد الى البياض, فالشاعر كما حسب رأَي الدكتور طه حسين "لا يمكن أَن يكون شاعرًا مجيدًا حقًا إلا إذا كان شعره مرآة نفسه وعواطفه ومظهر شخصيته"[٥٥]، وبالمقابل من وصف ليلة الوصال ومرورها بسرعة من شدة حبه وسعادته فدلالتها (اي الليلة) "للتفاؤل والجمال والفرح والشباب والعطاء"[٥٦], وعبر ذلك نلحظ أَنَّ الذي يتحكم بدلالة الليلة حالة الشاعر النفسية, فقصر الليلة سيتبع او يخضع لـ"البعد النفسي عند الشاعر, الذي سيتحكم بزمنية الليل على حسبما يكون هذا البعد سلبيًا او إيجابيًا, وسترتبط سلبية البعد النفسي بطول الليل, بينما ترتبط إيجابية البعد النفسي بقصر الليل"[٥٧], وهذا ما سوف نلاحظه في الأَبيات التالية, فنراه يصف طوال الليل ويتمنى زوالها؛ ليحمل دلالة غير مشرقة؛ بل (معتمة), فيقول طالباً الرضا:[٥٨]

اقطـــــع الليـــــل اقاســـــي ... ودمـــــوعي فـــــوق خـــــدي
ايـــــن مـــــولاي يرانـــــي ... مـــــا اقاســـــي فيـــــه وحـــــدي

يشكو الشاعر فراق الأحبة في هذا النص، وقد وظَّفَ الدلالة اللونية غير المباشرة (الأَسود الضمني), فتبرز هنا الدلالة السوداوية بخلاف بعض النصوص التي كانت تصف صفو الليل وجماله بسبب الوصال, فالشاعر يشكو قساوة الليل وطوله, موظفًا الدلالة السوداء؛ ليعبر عن حزنه وأَلمه وفزعه ونفوره من هذه الليلة, فاللون الأَسود كما يرى البعض هو "هو لون كل الاشياء المفزعة"[٥٩], فأصبح الليل بكل ما يحمله من حزن ويأس يحمل دلالة لونية معتمه، نتيجة إِحساسه المشبع بالاستسلام, فكان اختياره لليل رمزًا ملائمًا لشحنات شعوره السلبي[٦٠].

ومن توظيفه الجانب المعتم لليل أَيضًا قوله في وصفه الليل الطويل:[٦١]

يـــــا ليـــــل مالـــــك اخـــــر ... ابـــــدا ولا للشـــــوق اخـــــر
يـــا لليـــل طـــل يـــا شـــوق دم ... انـــي علـــى الحـــالين صـــابر
لـــــي فيـــــك اجـــــر مجاهـــــد ... ان صـــــح ان الليـــــل كـــــافر

يعمد الشاعر إِلى أَنسنة الليل عبر مُخاطبتهِ في قوله: **(يا ليل)**, فنلحظ تغير دلالة الليل عن النصوص السابقة، فهو يخاطب الليل ويطالبه بالزوال, فليله طويل وهو عاشق حبيبته غائبة "فكثيرًا ما يطول ليل العاشقين وفي ذلك دلالة على الحزن وفقدان الأَمل في الرجوع للحبيبة فيتمنون زواله"[٦٢]؛ ليصل إِلى حالة من العتمة النفسية (اليأس), فلم يبالِ بزوال هذا الليل؛ لأَنه يتكأُ على الصبر في مُكابدة حرارة الاشتياق, فخرج الشاعر الى تخريج ملفت؛ لبيان كرهه لهذا الليل الذي يحمل الدلالة السوداوية؛ لدرجه أَنَّ الشاعر قد وصفه وشبهه بالكفر من باب النفور, "فالأسود يثير الحزن والتشاؤم... لارتباطه بأشياء منفّرة في الطبيعة دون سائر الالوان فهو مرتبط بالليل والظّلام ولعل ارتباطه بالليل والظلام وجلبه لمشاعر الخوف هو السبب المباشر للنفور منه"[٦٣].

توظيفه لفظه (الشمس) للدلالة على اللون الابيض يقول[٦٤]:

فـــــاتني اذا مـــــر مـــــا كلمتـــــه ... كـــدت ان اكـــل مـــن غيظـــي يـــدي
اشـــرقت مـــن وجهـــه شـــمس الضـــحى ... لـــم تجـــد مـــن حرهـــا العشـــاق فـــي

يوظف الشاعر مخزونه الدلالي اللوني ليصف حبيبته, فيستعير لفظه الشمس التي تحمل في طياتها دلالة الاشراق والدفء والبياض (شمس الضحى), فعشقه لحبيبته جعله يبدع في وصف محاسنها فراح يستعير صفه من صفات الشمس وهي الإشراق وقت الضحى, فجعل وجهها مصدرًا للإشراق, وكأنَّ الشمس تشرق من وجهها, فدلالة الشمس تهيمن على نص الشاعر فيحضر "البهاء والنور والرفعة والبهجة"[٦٥], فتبرز الطاقة الايحائية لدى الشاعر في استعارة الأَشياء وتوظيفها, فنره يبدع في وصفها حتى أَنَّه صورها كالنور الذي يُضيء بنفسه ويمنح النور لمن حوله, فهو كغيره من الشعراء الذين اعتمدوا في تصوير حبيباتهم بالشمس؛ لتحل الدلالة اللونية (البيضاء) في ثنايا تصور جمالهن ونصاعة اشراقتهن؛ لذلك لجأ أَغلب الشعراء "إلى ألفاظ تُوحي دلالاتها على اللون الأبيض وهي الشمس والقمر"[٦٦], فنجدهُ يقول أَيضًا:[٦٧]

كلفت بشمس لا ترى الشمس وجهها اراقب فيها ألف عين وحاجب

ومن الدلالات اللونية غير المباشرة(الضمنية), توظيفه الدلالة غير المباشرة للونين (الاحمر والاخضر) وجاء ذلك عبر توظيف الفاظ تدل على هذه الأَلوان بصورة غير مباشرة، يقول في ذلك[٦٨]

وجهه البستان فأقطف أسُه أو فأجنِ ورده

نلحظ أَنَّ الشاعر يحرص على توظيف مختلف الدلالات اللونية, فنجد ألفاظ (البستان, ورد), فهو يصف او يصور المقصود بهذا النص بالبستان المثمر, فيدعو الناس لقطف الثمار وجناء الورد منه، وكأنَّ وجهه يحمل صفات الإشراق عبر تشبيهه بالبستان كثير الثمار بدلالة لفظه **(أسُه)** التي تعني الوجه, و يطلب عبر فعل الأَمر **(أجن)** اي احصد ورده دلالة حمراء.

ويوظف دلالة اللون الأَحمر عبر لفظة (نار):[٦٩]

وأعين عن التشاكي طافحه اذا اختصرنا فالدموع شارحه
وفت بوعدِ ثم قامت رائحه وأودعت قلبي ناراً لافحة

نلحظ حضور الدلالة الحمراء عبر لفظه (نار), ونراها مغايرة للنص السابق، فاللون تتغير دلالته النفسية بحسب حالة الشاعر, وعادة ما يرمز اللون الأَحمر للعواطف الثائرة والحب الملتهب والقوة والنشاط, وهو يرمز للنار المشتعلة, فالأحمر يعبر عن الأَشخاص المصنفين بقوة الشعر الشعور, فهو لون حي وحركي[٧٠].

ومن للدلالات اللونية غير المباشرة لفظه (غرّ)، وهي تدل على اللون الأَبيض، وقد وردت في أَبيات مدح فيها الملك ناصر الدين, إِذ وظَّف الدلالة اللونية البيضاء؛ ليزيده رفعه وبهاء, فيشبهه بصفات ورفعة الملائكة, فيقول:[٧١]

فيـــا ملـــك ســـامى الملائـــك رفعـــة ففـــي المـــلأ الاعلـــى لـــه أطيـــب الـــذكر
ليهنـــك مـــا أعطـــاك ربّـــك إنهـــا مواقـــف هـــن الغـــرُّ فـــي موقـــف الحشـــرِ

نلحظ في هذا النص توظيف الدلالة اللونية المتضادة, فالشاعر يوظِّف الدلالات اللونية بما يتناسب وموضوع القصيدة وحالته النفسية, إِذ نجده يتلاعب بالدلالات اللونية, فتتحول الدلالة من بيضاء إِلى سوداء وكذلك العكس عبر توظيف أَلفاظ تدل على اللون الضمني, ومن توظيفه التضاد اللوني غير المباشر, قوله:[٧٢]

أأحبابنـــــا بـــــالله كيـــــف تغيـــــرت خلائـــــق غـــــرٍّ فـــــيكم وغرائـــــر
لقـد سـاءني العتـب الـذي جـاء مـنكم وانـــي عنـــه لـــو علمـــتم لعـــاجز

يوظف الشاعر التضاد اللوني غير المباشر في هذا النص عبر تحول الدلالة اللونية البيضاء من **(غرّ)** إِلى دلالة سوداء, فالخلائق لا تُرى بالعين المجردة, فتتلون بحسب صاحبها, فيؤكد الشاعر أَنَّ الدلالة البيضاء بدلالة لفظه **(غر)** تحولت الى دلالة سوداء, اذ تغيرت هذه الخلائق البيضاء, فأخذت دلالة النص اللونية منحًا آخر همنت عليه الدلالة السوداوية, وهذا التحول الدلالي الذي أَضفى على النص دلالة الحزن, كفيل بتحويل الدلالة اللونية؛ ليخلق التضاد الدلالي اللوني من البياض الى السواد.

وأَمثلة ذلك ما جاء في قولهِ:(٧٣)

وليلـــــة كأنهـــــا يـــــوم اغـــــر ظلامهـــا أشـــرق مـــن ضـــوء القمـــر
كأنهـــــا مقلـــــة الـــــدهر حـــــور مـــا قصـــرت لـــو ســـلمت مـــن القصـــر
حـــين اتـــت مـــرت كلمـــح البصـــر لـــيس لهـــا بـــين النهـــار مـــن أثـــر
تطـــابق منهـــا العشـــاء والســـحر ألـــذ مـــن طيـــب الكـــرى فيهـــا الســـهر
قطعتهـــا فـــلا تســـأل عـــن الخبـــر بصـــاحب حلـــو الحـــديث والســـمر

النص قائم على التحولات اللونية والدلالية التي تشير إلى دلالة التضاد

التحول اللوني الاول: ليلة ← يوم أغر

التحول اللوني الثاني: ظلامها← أشرق من ضوء القمر

التحول الثالث: الزمن الاعتيادي← سريع كلمح البصر

في هذا النص نجد التحولات الدلالية واللونية التي تعكس حالة الشاعر النفسية في الليلة التي قضاها مع الحبيبة, فتحولت في عينه من ليلة مظلمه سوداء إلى ليلة بيضاء غراء يكاد ضوؤها يفوق ضوء القمر؛ لذلك فهي عالقة في ذهنه , فيميزها لنا عن ليالي الدهر بتضاد لوني **(حور)**؛ لبيان شدة السواد الى شدة البياض, فليالي الدهر سوداء وليلته هذه بيضاء ناصعة.

من توظيف التضاد اللوني في رثاء أَخيه قوله الذي جاء فيه:(٧٤)

يعـــزّ علـــي فقـــدك يـــا علـــي ألا لله ذا الأجـــــــل الوصـــــــي
تكـــدّر فيـــك صـــافي العـــيش لمّـــا عـــدمتك ايهـــا الخـــلّ الصـــفي
....
....
فهـــل حـــقٌ حياتـــك يـــا زهيـــر وهـــل حـــقّ وفاتـــك يـــا علـــي
وأقلـــع ذلـــك الغيـــث المُرجـــى فـــلا الوســـمى منـــه ولا الـــولى

....

....

مضـــــوا بســـــيره وعليـــــه نـــــور جلـــــي تحتـــــه ســـــرٌّ خفـــــي

نلحظ في هذا النص التحول الدلالي للون من الدلالة المشرقة البيضاء المتمثلة بقوله: **(صافي العيش)** إلى الدلالة السوداء بدلالة لفظه **(تكدر)** الذي تحمل معها دلالة لونية سوداوية، نتيجة المشاعر الحزينة التي اجتاحت قلب الشاعر بسبب وفاه أَخية، فأصبحت حياته سوداء, ففي ألفاظ هذا النص الاشارات اللونية غير المباشرة **(البحر, الغيث, الوسمى، اول المطر, الروض البهي, نور جلي)**, فنلاحظ التحول الدلالي في الحياة بعد موت أَخيه، فنراه يصفه بهذه الصفات التي تحمل في طياتها دلالة نفسية إيجابيه بيضاء, فهذه الدلالات المشرقة التي كان ينعم بها بوجود اخيه, تحولت بتحول اللون الدلالي إلى تضاد لوني من الدلالة البيضاء إلى السوداء, إذ بيَّنَ ما تركه فقد الأَخ من أَلم كبير في نفسه.

ومن أَمثلة ذلك قوله من قصيد جاء فيها:(٧٥)

رعـــى الله طرفـــا مـــنكم بـــان مؤنســـي ومـــا ضـــره اذ بـــات لـــو كـــان يصـــبح

ولكـــن أتـــى لـــيلا وعـــاد بســـحرة درى ان ضـــوء الصـــبح ان لا يفضـــح

نلحظ في هذين البيتين حضور التضاد الدلالي عبر تحول الدلالة, فيصف الشاعر حبه وهيامه وشوقه, فالشاعر يوظف الدلالات اللونية غير المباشرة **(ليل, ضوء الصبح)**, فهو يرجح الدلالة السوداء على البيضاء في هذا النص, فالليل يحمل دلالة الوصال والحب, فهو يحجب المحبين عن غيرهم، فينعم بلقاء الأَحبة؛ ولكن عندما يأتي الصباح فهو يفضح لقاءه, وكأَنَّ الشاعر يتمنى عدم زوال الليل؛ لأَنَّ الحبيب يأنس بقربه ليلًا، وعند السحر وطلوع النهار يذهب الحبيب خشية أَنَّ يكشف لقاؤه, فهذا التحول الدلالي من اشراقه الليل بحضور الأَحبة، إلى ظلمة وعتمة الصباح الذي يفضح لقائهما, وبذلك نلحظ أَنَّ التضاد الدلالي قد تحقق في هذا النص الشعري.

الخاتمة

تبيَّن مما تقدم في هذه الدراسة التي سلطت الضوء على تجليات اللون في شعر البهاء زهير , الحضور الواضح للون بدلالته المباشرة (الصريح), وغير المباشرة (الضمني), ولو أَردنا ان نقدم احصاء دقيقاً لقلنا: أَنَّ اللون غير المباشر كان له الحضور الاكبر بخلاف اللون بدلالته المباشرة, وقد عبر الشاعر عن اللون المباشر بألفاظ صريحة، فكان حضور اللون الأَسود والأبيض متقارب، بخلاف الأَحمر والأَخضر , فقد كان حضورهما حضورًا نسبيا , أَمَّا غير المباشر فقد وظَّفَ الشاعر ألفاظًا تحمل الدلالة اللونية (غر , بدر , نور , الشيب, الشمس, قمر , الضرب "العسل الابيض"), أَمَّا الدلالة السوداء (كحلاء , ليل, سحاب, شنب" السمرة في شفة المرأة", الظلمات, كدر... إلخ), والأَحمر (الورد, النار , الجمر), الأَخضر (البستان, النسيم, الروض), والشاعر بهذا لم يبتعد كثيرًا عن نهج الشعراء القدامى في توظيف الصورة اللونية, وقد حاز اللون ذو الدلالة غير المباشرة على النصيب الأَوفر في التوظيف، بخلاف نضيره اللون ذي الدلالة المُباشرة، وهذا يدل على القيمة التصويرية الإبداعية لدى الشاعر ويدل دلالة واضحة على امكانيته الايحائية التي تفسح المجال امام ذهن المتلقي, , فكان حضور اللون داعمًا لأغراض الشاعر (الغزل , المدح, الرثاء) وقد استثمر بعض الاساليب البلاغية التي أَسهمت في تدعيم نُصوصه, كالتشبيه والاستعارة التشخيصية والتضاد, كذلك كان للتضاد اللوني الحضور الواضح بنوعيه: المباشر , وغير المباشر عبر تحول الدلالة, وكان التضاد اللوني في أَشعاره تقتصر على اللونين الأَبيض والأَسود, ولم نلحظ حضور للتضاد اللوني للألوان الأُخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الاسود في شعر امرؤ القيس, د. رافعة سعيد السراج ,جامعة الموصل , كلية التربية, مجلة التربية والعلم, مجلد ١٧, العدد١ ,٢٠١٠م

٢. الاضاءة المسرحية, شكري عبد الوهاب, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط١، ١٩٨٥م.

٣. الالوان وتأثيرها في النفس وعلاقتها بالفن, محمود شكري الجبوري , وزارة التعليم والبحث العلمي ,بغداد ط١, ١٩٨١م؟

٤. ايقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة : تأليف د. علوي الهاشمي، مهرجان المربد الشعري- الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م.

٥. البهاء زهير , بقلم الدكتور عبد الفتاح شلبي، ط٢, دار المعارف بمصر (القاهرة), ١١١٩م

٦. تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات, محمد مرعي حسين الهدروسي, رسالة دكتوراه , كلية الاداب, جامعه اليرموك, الاردن , ٢٠٠٧

٧. التدبيج في القران الكريم, عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني, مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية , مج١١, ع٢

٨. التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث, محمد صابر عبيد, مجلة الاقلام بغداد, العدد١١, ١٩٨٩م

٩. توظيف اللون في شعر أبي تمام, د. غني صكبان سلمان , جامعة واسط , كلية التربية, مجلة كلية التعليم, ديسمبر ٢٠١٨ (بحث متاح على شبكة الانترنيت) https://www.iasj.net

١٠.الثنائيات الضدية في شعر أَبي اسحاق ابراهيم الغزي, هويد صالح كامل , الجامعة المستنصرية, كلية التربية, رسالة ماجستير, ٢٠١٨م

١١.جماليات اللون في القصيدة العربية, محمود حافظ ذياب, مجلة فصول, مجلد وعدد ٢, ١٩٨٥م

١٢.جماليات اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر قراءة في ديوان بدر شاكر السياب, سويزف فريدة, اطروحة دكتوراه, جامعة جيلالي ليابس, كلية الاداب واللغات والفنون, ٢٠١٧م.

١٣.حديث الأَربعاء, طه حسين, القاهرة, ١٩٢١م.

١٤.الدعاء في شعر عمر بن ربيعة, د. رفاه علي نعمة , جامعة بابل , كلية التربية للعلوم الانسانية , بحث في مجلة العلوم الانسانية , كلية التربية,مجلد٢٤, عدد٤ , ٢٠١٧م

١٥.دلالة اللون في عر المتنبي, عيسى متقى زاده, خاطرة أَحمد, إِضاءات نقدية, السنة الرابعة, العدد ١, ١٣٣٩، ٢٠١٤م.

١٦.ديوان البهاء زهير ,تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي, دار المعارف, ش ط٢, ١١١٩م

١٧.الرسم واللون, محيي الدين طالو، مكتبة أطلس، دمشق، (د.ط)، ١٩٦١م.

١٨.سيميولوجيا الالوان وحساسية التعبير الشعري عند صلاح عبد الصبور, د. حنان , الجزائر, معهد الآداب واللغات المركز, مجلة الاثر, العدد ٢٣, ٢٠١٥م.

١٩. شاعرية الأَلوان عند امرؤ القيس، د. عبد الكريم خليفة, مجلة اللغة العربية الاردني, عدد ٣٣, لسنه ١١, ١٩٨٧م

٢٠. الصورة الشعرية في شعر البهاء زهير, مريم عيسى غنيم, رسالة ماجستير, جامعة الخليل, ٢٠٢١

٢١.الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٤م

٢٢.صورة اللون في الشعر الاندلسي, دراسة دلالية فنية, حافظ المغربي, دار المناهل, بيروت, ط١, ٢٠٠٩م.

٢٣. الصورة اللونية في الشعر الايوبي, نبراس كاظم ابراهيم, رسالة ماجستير, الجامعة المستنصرية , كلية التربية, ٢٠١٥م.

٢٤.الصورة اللونية في النثر الفني الاندلسي من الفتح الى نهاية عصر الطوائف مهدي علي محمد, الجامعة المستنصرية , كلية التربية, اطروحة دكتوراه, ٢٠١٩

٢٥.الصورة اللونية في شعر ضياء الدين رجب , خالد طلعت الخولي , كلية اللغة العربية المنصورة, قسم الادب والنقد, بحث منشور, مجلة كلية اللغة العربية, مج٣٠، ع٢، ٢٠١٧م.

٢٦.العلامة اللونية دراسة في توظيف اللون ودلالته في تشكيل المشهد الشعري في شعر مظفر النواب, محمد طالب غالب الاسدي, جامعة البصرة ,كلية الآداب, مجلة آداب البصرة , العدد ٤٠ ,٢٠٠٦م

٢٧.القصيدة اليتيمة براوية القاضي علي بن محسن التنوخي :المنجد صلاح الدين, دار الكتب الجديد , بيروت , لبنان , ط٣ , ١٩٨٣م

٢٨.كتاب الحيوان ابي عثمان بن بحر الجاحظ, تح: عبد السلام هارون, ط٢, ١٩٦٥م

٢٩.اللغة واللون، د. أَحمد مختار عمر, عالم الكتب, القاهرة .ط٢, ١٩٩٧م.

٣٠.اللون في الشعر الاندلسي, عبير فايز حمادة الكوسا, رسالة ماجستير, جامعة البعث, كلية التربية, سوريا,٢٠٠٧م

٣١.اللون في الشعر الاندلسي, عبير فايز حمادة الكوسا, رسالة ماجستير, جامعة البعث , كلية التربية, سوريا, ٢٠٠٧م.

٣٢.اللون في الشعر العربي قبل الإسلام , ابراهيم محمد علي , ط١, لبنان , ٢٠٠١م

٣٣. اللون في شعر الزقاق (٤٩٠_٥٢٨)هـ , صالح ويس محمد الجحيشي, اطروحة دكتوراه , جامعه الموصل, كلية التربية, ٢٠٠٧م.

٣٤.الليل في القصيدة الاندلسية، حنان حيرب, رسالة ماجستير, جامعة دمشق, ١٩٩٢م

٣٥.الوافي بالوفيات, الصفدي, اعتناء : احمد الارناووط, تركي مصطفى, ط١, دار ايحاء التراث العربي, بيروت، ٢٠٠٠م

٣٦.وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان, ابن خلكان, تحقيق: احسان عباس, دار صادر بيروت, ١٩٧٨م

(١) ينظر: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان, ابن خلكان, تحقيق: احسان عباس, دار صادر بيروت ١٩٧٨:٢/٣٣٢. ٣٣٨, الوافي بالوفيات, الصفدي, اعتناء : احمد الارناووط, تركي مصطفى, ط١, دار ايحاء التراث العربي, بيروت، ٢٠٠٠م/ :١٤/١٥٦– ١٥٩

(٢) ينظر: وفيات الاعيان :٢/٨١

(٣) البهاء زهير, بقلم الدكتور عبد الفتاح شلبي ، ط٢, دار المعارف بمصر(القاهرة), ١١١٩م :٣١

(٤) ينظر: الصورة الشعرية في شعر البهاء زهير, مريم عيسى غنيم, رسالة ماجستير, جامعة الخليل, ٢٠٢١: ١

(٥) ينظر: وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان:٢/٣٣٨

(٦) توظيف اللون في شعر أبي تمام, د. غني صكبان سلمان , جامعة واسط , كلية التربية, مجلة كلية التعليم , ديسمبر ٢٠١٨ (بحث متاح على شبكة الانترنيت) https://www.iasj.net :٢٩

(٧) كتاب الحيوان ابي عثمان بن بحر الجاحظ , تح: عبد السلام هارون ,ط٢, ١٩٦٥م: ٣/١٣٢

(٨)جماليات اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر قراءة في ديوان بدر شاكر السياب, سويزف فريدة, اطروحة دكتوراه, جامعة جيلالي ليابس, كلية الاداب واللغات والفنون, ٢٠١٧م:١٧

(٩) العلامة اللونية دراسة في توظيف اللون ودلالته في تشكيل المشهد الشعري في شعر مظفر النواب, محمد طالب غالب الاسدي, جامعة البصرة ,كلية الآداب, مجلة آداب البصرة , العدد ٤٠ ,٢٠٠٦م:٣٢

(١٠) دلالة اللون في شعر المتنبي, عيسى متقى زاده , خاطرة احمد, اضاءات نقدية, السنة الرابعة, العدد ١ , ١٣٣٩. ٢٠١٤م : ٤

(١١) ينظر: الصورة الشعرية في شعر البهاء زهير : ٩٤

(١٢) سيميولوجيا الالوان وحساسية التعبير الشعري عند صلاح عبد الصبور ,د. حنان , الجزائر , معهد الآداب واللغات المركز, مجلة الاثر , العدد ٢٣ , ٢٠١٥م: ١٣٨

(١٣) ينظر : دلالة اللون في شعر المتنبي:٢

(١٤) التدبيج في القران الكريم , عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني , مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية , مج١١, ع ٢: ١٦٦

(١٥) جمالية اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر قراءة في ديوان بدر شاكر السياب:١٦

(١٦)ينظر: ايقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة : تأليف د. علوي الهاشمي، مهرجان المربد الشعري- الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م. :٢٧٥

(١٧) الالوان وتأثيرها في النفس وعلاقتها بالفن, محمود شكري الجبوري , وزارة التعليم والبحث العلمي ,بغداد ط١, ١٩٨١م : ٣

(١٨) ينظر: الصورة اللونية في النثر الفني الاندلسي من الفتح الى نهاية عصر الطوائف مهدي علي محمد, الجامعة المستنصرية , كلية التربية, اطروحة دكتوراه,٢٠١٩: ١٦٢

(١٩) الاضاءة المسرحية , شكري عبد الوهاب , الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط١, ,١٩٨٥: ١٢٥

(٢٠) الثنائيات الضدية في شعر ابي اسحاق ابراهيم الغزي, هويد صالح كامل , الجامعة المستنصرية , كلية التربية , رسالة ماجستير ,٢٠١٨: ٤٨

(٢١) ينظر : المصدر نفسه:٤٨

(٢٢) ديوان البهاء زهير ,تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي, دار المعارف, ط٢, ١١١٩م :١٠٠

(٢٣) اللغة واللون : د, احمد مختار عمر , عالم الكتب, القاهرة .ط٢ , ١٩٩٧م: ١٨٦

(٢٤) الديوان :٣٢

(٢٥) الديوان: ٩١

(٢٦) الديوان : ٦٢

(٢٧) ينظر : اللون في الشعر العربي قبل الإسلام , ابراهيم محمد علي , ط١, لبنان , ٢٠٠١م , ٥٧– ٥٨ .

(٢٨) اللغة واللون , أحمد مختار عمر: ٢١٠– ٢١١

(٢٩) الديوان : ١٠٣

(٣٠) جمالية اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر قراءة في ديوان بدر شاكر السياب: ٣٥

(٣١) الصورة الشعرية في شعر البهاء زهير : ٣٠

(٣٢) صورة اللون في الشعر الاندلسي , دراسة دلالية فنية , حافظ المغربي , دار المناهل , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩م: ٢٠٥

(٣٣) ينظر:الرسم واللون, محيي الدين طالو، مكتبة أطلس، دمشق، (د.ط)، ١٩٦١م : ١٧١_١٧٢

(٣٤)ينظر: صورة اللون في الشعر الاندلسي: ٢٠٥

(٣٥) الديوان :٣٠٢

(٣٦) الديوان :٣٠٢

(٣٧) الديوان:٢٤

(٣٨) القصيدة اليتيمة براوية القاضي علي بن محسن التنوخي :المنجد صلاح الدين, دار الكتب الجديد , بيروت , لبنان , ط٣ , ١٩٨٣م:١٣_٣٠

(٣٩) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ١٩٧٤م : ١٧

(٤٠) الديوان :٤٠

(٤١) التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث , محمد صابر عبيد, مجلة الاقلام بغداد ,العدد١١ ,١٩٨٩: ١٦٩

(٤٢) الديوان : ٥٤

(٤٣) الديوان: ١٦١

(٤٤) الديوان :٣٢

(٤٥) الصورة اللونية في شعر ضياء الدين رجب , خالد طلعت الخولي , كلية اللغة العربية المنصورة, قسم الادب والنقد, بحث منشور , مجلة كلية اللغة العربية ,مج٣٠ ,ع٢ ,٢٠١٧م : ٤٧٨

(٤٦) الصورة اللونية في النثر الاندلسي:١٧٨

(٤٧) الديوان: ٣٠٤

(٤٨) ينظر: اللون في شعر الزقاق البلنسي (٤٩٠_٥٢٨)هـ , صالح ويس محمد الجحيشي, اطروحة دكتوراه , جامعه الموصل, كلية التربية, ٢٠٠٧م: ١١٢

(٤٩) ينظر : الصورة اللونية في النثر الاندلسي : ١٥٠

(٥٠) اللون في الشعر الاندلسي , عبير فايز حمادة الكوسا, رسالة ماجستير , جامعة البعث , كلية التربية , سوريا,٢٠٠٧م:٧٠

(٥١) الديوان:٥٥

[٥٢] ينظر هامش الديوان:٥٥

[٥٣] الديوان:١٢٥

[٥٤] ينظر: الدعاء في شعر عمر بن ربيعة, د. رفاه علي نعمة , جامعة بابل , كلية التربية للعلوم الانسانية , بحث في مجلة العلوم الانسانية , كلية التربية,مجلد٢٤, عدد٤ , ٢٠١٧ :٣

[٥٥] حديث الاربعاء , طه حسين, القاهرة, ١٩٢١ :١٤٢/١

[٥٦] الاسود في شعر امرؤ القيس, د. رافعة سعيد السراج ,جامعة الموصل , كلية التربية, مجلة التربية والعلم, مجلد ١٧, العدد١ ,٢٠١٠: ١٢٠

[٥٧] الليل في القصيدة الاندلسية، حنان حيرب, رسالة ماجستير , جامعة دمشق, ١٩٩٢م: ١٢٧

[٥٨] الديوان:٨١

[٥٩] ينظر : جماليات اللون في القصيدة العربية, محمود حافظ ذياب, مجلة فصول , مجلد وعدد ٢ ,١٩٨٥ .: ٤٤, شاعرية الالوان عند امرؤ القيس . د. عبد الكريم خليفة , مجلة اللغة العربية الاردني , عدد ٣٣, لسنه ١١, ١٩٨٧ :١٠٠

[٦٠] ينظر : اللون في الشعر الاندلسي:٧١

[٦١] الديوان:١٢٤

[٦٢] الاسود في شعر امرؤ القيس: ١٢٠

[٦٣] جمالية اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر : ٣٢

[٦٤] الديوان :٣٠٢

[٦٥] الصورة اللونية في الشعر الايوبي , نبراس كاظم ابراهيم , رسالة ماجستير , الجامعة المستنصرية , كلية التربية , ٢٠١٥ م : ٢٤

[٦٦] المصدر نفسه:٢٦

[٦٧] الديوان:٢٩

[٦٨] الديوان:٦٨

[٦٩] الديوان:٥٩

[٧٠] ينظر: تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات, محمد مرعي حسين الهدروسي, رسالة دكتوراه , كلية الاداب , جامعه اليرموك , الاردن , ٢٠٠٧,:٢٤

[٧١] الديوان:١٠٠

[٧٢] الديوان:١٣٥

[٧٣] الديوان:١٢٣

[٧٤] الديوان :٢٩٣

[٧٥])الديوان:٨٢